تناولُ الفَوْزَان لتهذيبِ المصطلح النّحويّ عند ابنِ هشامٍ في شرحِهِ لِقَطْر النَّدَى

د. الوليد حسن علي مُسَلّم

(1)جامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يأتي هذا البحثُ لأجلِ الوقوف عند مناقشاتِ الشيخِ الفَوْزَانِ لجهودِ ابنِ هشامٍ في تهذيبِ المصطلحاتِ النّحويّة، خلالَ شرحِهِ لكتابِ قَطْر النّدى وبَلّ الصَّدَى المسمَّى (تعجيلُ النّدى بشرحِ قَطْر النَّدَى)، وإظهارِ فائدتِها وجودتِها، وتَمَّ تقسيمُهُ إلى مباحثَ هي: تعريفُ المصطلحِ النّحويّ، وإعطاءُ لَمْحَةٍ عن نشأتِهِ وتطورِهِ، وتوضيحُ مفهوم التّهذيب بِاقْتِضابٍ، وبيانُ ملامحِ تهذيب المصطلح عند ابن هشام، وسردُ صورِ تهذيبه للمصطلح النّحويّ ، مع تتبع تناول الفَوْزَان لها من ناحيةٍ لغويّةٍ وعقديّةٍ ودلاليّة ومنطقيّةٍ ومَنهجيّةٍ؛ طلباً لإثراء البحث، وإغْنَاءً له، وربطاً لجهود القدماء والمحدثين. ولإنجازِ هذا البحث اُتُّبِعَ المنهج الاستقرائيّ التّحليليّ، وبعدَ نظرٍ في مناقشات الفوزان لتهذيب المصطلحات النّحويّة عند ابن هشام في شرحه لكتاب القَطْرِ تمّ التّوصل إلى أنّه تناولها إجمالاً وتفصيلاً، أمّا تناولُهُ لها إجمالاً فتمثل في إبراز أكثريّة المصطلحات البصريّة، وانسجامها مع مذهبه البغداديّ، ومراعاتها للعلاقة اللغويّة والاصطلاحيّة، ومستوى المُتَعَلِّم، واستفادته من المنطق في معالجتها، وأمّا تناولُهُ التفصيليّ لها فجاء في أربع صور، هي: تهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ تأدبًا مع الله تعالى، وتهذيبه تعظيمًا للقرآن الكريم، وتهذيبه طلباً للاختصار، وتهذيبه نَشْدًا للدقة والإحكام.

الكلمات المفتاحية:

تناول - تهذيب - شرح قطر الندى - الفوزان - المصطلح النّحويّ – ابن هشام.

ISSN : 2410-1818

Abstract:

This paper comes to stand up to Sheikh Al-Fawzan's discussions of Ibn Hisham's efforts in refining grammatical terms, through his explanation of the book "The Qatr Alnada Bal Alsada" that is called, Taagel Alnada Beshrh Qatr Alnada and to show its usefulness, its definition and its discussion: it is divided into His emergence and development, and a brief clarification of the concept of Tahdheeb, clarifying the features of the refinement of the term according to Ibn Hisham, and narrating the images of his Tahdhib for the grammatical term in detail, while tracing the approach of Fawzan in linguistic, doctrinal, semantic, logical and methodological terms. A request to enrich the research, and to enrich it. In order to accomplish this research, he followed the inductive analytical method, and after looking at the discussions of Al-Fawzan to refine the grammatical terms of Ibn Hisham in his explanation of the Book of Al-Qatr, it was concluded that he dealt with them in general and in detail. And the terminology, the level of the learner, and his utilization of logic in dealing with it, and his detailed handling of it came in four forms, which are: Ibn Hisham's refinement of the grammatical term to be polite with God Almighty, refining him to respect the Holy Qur'an, and refining it for the sake of .brevity, and refining it for accuracy

المقدمة:

إنّ المصطلحَ في كلّ عِلم مفتاحُهُ الذي يُدْخَلُ به إلى رَحابةِ المفاهيم، ويُنفذُ به إلى سعةِ المعارف، وهو اختصارٌ للمعاني، وإجمالٌ للقضايا، وتجميعٌ للمسائل، والمصطلحُ نِصفُ العلم، ولا معرفةَ بلا مصطلحٍ، وأهميةُ المصطلح عامةٌ في كلّ علمٍ، وقد وجَدَ المصطلحُ في علم النّحو عنايةً فائقةً، فهو صُرّةٌ تَجمعُ شتاتَهُ، ومقدمةٌ تقودُ إلى تفاصيله، ولشدة اهتمام العلماء به، فقد وضعوه موضعَ الصدر من الأبواب وضبطوه ضبطاً جامعًا مانعًا، وحدوه حدودًا تُبيّنه وتجلّيه، وشرحوه وفصّلوا فيه القول تفصيلاً، وألفوا العديد من الكتب التي جمعت متفرقاته قديماً وحديثاً، مثل كتاب الحدود النّحويّة للفاكهيّ، والتعريفات للجرجانيّ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانويّ، والكليات للكفويّ، ومعجم المصطلحات النّحويّة والصرفيّة لمحمد اللبديّ، والمصطلح النّحويّ للقوزيّ، والمصطلحات النّحويّة في التراث النّحويّ للحديديّ.

وبرغم تلك الأهمية، وهاتيك العناية بالمصطلح النّحويّ إلّا أنّه تكتنفُهُ مشكلاتٌ، منها تعددُهُ في الموضوع الواحد، وغموضُهُ في بعض المواضيع، واحتياجُهُ للتهذيب والتَشْذِيب في مواضيع أخرى. وقد

ISSN : 2410-1818

أعددتُ هذا البحث للإتيان على تهذيب المصطلح النّحويّ حسبما يراه ابن هشام في كتابه قطر الندى وبل الصدى، وعملتُ على إثراء البحث بتناول الفَوْزان لهذا التهذيب وإبراز منطقيته ودواعيه، وفوائده.

وتتمثلُ مشكلةُ هذا البحثِ في تتبعِ مناقشاتِ الشيخِ الفَوْزَان لجهود ابن هشام في تهذيب المصطلحات النّحويّة، خلالَ شرحِهِ لكتابِ قطر الندى وبل الصدى المسمى بـ (تعجيل الندى بشرح قطر الندى)، ومحاولةِ إظهارِ فائدتها، وإبرازِ جودتها، ومقارنتِها مع شيء من جهود كبار النّحويّين.

ويسعى البحثُ للإجابةِ عن التساؤلاتِ الآتية: ما تعريفُ المصطلح ؟ وما مراحلُ نشأةِ المصطلح النّحويّ ؟ وما مفهومُ التهذيب ؟ وما المصطلحاتُ النّحويّة التي وقعَ عليها تهذيبُ ابن هشام ؟ وما الثراءُ المعرفيُّ الذي أضافَهُ الشيخُ الفَوْزَان بمناقشاته لمسألة تهذيب المصطلح النّحويّ في شرحِهِ للقَطْر؟

ويكتسبُ هذا الموضوعُ أهميةً لتعلقِهِ بالمصطلحِ النّحويّ الذي يمثلُ في النّحو عِلماً، وركناً، ومفتاحاً؛ فالمصطلحُ النّحويّ يُقرِّبُ المعاني، ويضبطُ القواعدَ، ويحددُ المسائلَ، ويؤطِّرُ الأبوابَ ويُنَسِّقُ الفصول. والمصطلحُ في النّحو ركنٌ؛ وذلك لأنّ النّحو يقومُ على ثلاثةِ أركانٍ هي: المصطلحُ والقاعدةُ والتطبيقُ، والمصطلحُ في النّحو مفتاحٌ تُتاحُ به المغَالِيقُ وتُفكُ به الأَصْفَادُ.

ولإنجازِ هذا البحثِ وتحقيقِ نتائجِهِ اتَّبَعْتُ المنهجَ الاستقرائيّ التّحليليّ، وأتيتُ على تعريفِ المصطلحِ ونشأته وتوضيحِ مفهوم التّهذيب، وبيانِ أنواعِ المصطلحات عند ابنِ هشام، وحصرِ تهذيبه لها، وعَقدتُ مقارناتٍ بين جهوده وجهود بعض النّحويّين القدماء في هذا المجال، وأحطتُ ذلك كلّه بمناقشات الشيخ الفَوْزَان وتوضيحاته للمصطلح النّحويّ عند ابن هشام من ناحيةٍ لغويّةٍ وعَقديّةٍ ومنطقيّةٍ ودلاليّة؛ إثراءً للبحث، وإغْنَاءً له.

الدراسات السابقة: أُجريت العديد من الدراسات في المصطلح النّحويّ عند ابن هشام، منها دراسة بعنوان (المصطلح النّحويّ في كتاب شذور الذهب لابن هشام) وهي رسالة ماجستير، مقدَّمة أمجد من طلافحة، جامعة اليرموك – الأردن – 2010م، وقد قسمتْ مصطلحات ابن هشام في شذور الذهب إلى مصطلحات بسيطة ومركبة، وقامت بشرحها وتحليلها ومقارنتها بمصطلحات نحويين آخرين. ومنها دراسةٌ بعنوان (المصطلح النّحويّ عند ابن هشام مصدره ودلالته)، وهي رسالة ماجستير، مقدَّمة من حفصة شيباني، جامعة العربيّ بن مهيدي - الجزائر - 2011م، فسردت هذه الدراسة المصطلحات النّحويّة عند ابن هشام الواردة في قطر الندى مع شرحها وتحليلها، كسابقتها، والجديد في دراستي تناول تهذيب المصطلح النّحويّ عند ابن هشام من وجهة نظر الفوزان، الذي أظهر جوانب لم يُتطرق إليها.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: تعريف المصطلح و لَمْحَة عن نشأته وتطوره

المطلب الأول: تعريف المصطلح

لغة: جاء في تاج العروس: ((أنّ الصلاح ضدّه الفساد وصَلَحَ، أفصح من صَلُحَ، وأصْلَحَ الشيء بعد فساده: اقامة، وأصْلَحَ إلى دابّته؛ أحسن إليها، وتعهدها، ويقال: (وقع بينهم صُلْحٌ) وهو السِّلم، واصطَلَحَ واصّالحَ مشددة الصاد؛ قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد، (وتصالحا واصتلحا) بالتاء بدل الطاء: كل ذلك بمعنىً واحد))[1]. وكلمةُ مصطلح في الأصل مصدرٌ ميميٌّ من الفعل اصطلح بمعنى الاتفاق والمواضعة والتعارف، ثم نُقل إلى الاسمية الخالصة لتخصيصه بهذا المدلول الجديد[2]. ولم تُستخدمْ كلمةُ (مصطلح) عند النّحويين واللغويين الأوائل، إنّما اُستخدمتْ كلمةُ (اصطلاح) التي هي مصدرُ الفعل (اصطلح)، وشاعَ استخدامُ كلمة (مصطلح) في القرن الثالث الهجري، عند الخوارزمي، وابن جني، وابن فارس[3]، وغيرهم، واستعمل التهانويُّ وابنُ خلدون اللفظين على أنهما مترادفان[4]، وهذا ما سار عليه أغلب المحدثين. وأرى أن ما ذهب إليه التهانويّ وابن خلدون من ترادفِ كلمةِ (مصطلحٍ) لكلمة (اصطلاح) هو الراجحُ؛ وذلك لأنّه لا فرق بين دلالة المصدر الصريح والمصدر الميميّ إلا في قوة التّأكيد، قال سيبويه: ((فإذا أردتَ المصدر بنيته على مفعل، وذلك قولك: إنّ في ألف درهم لمضربا، أي لضربا، قال عز وجل: ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة:10] يريد أين الفرار))[5]، والرأي نفسُهُ عند

([1]) يُنظر: الزبيدي، محمد بن الحسن، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود الجيزي، ط الأولى، 1414هـ، دار الفكر، بيروت: (مادة صلح).

([2]) يُنظر: الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ط الأولى، 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت: ص 130.

([3]) يُنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط الأولى، 2001م، دار الكتاب العربي، بيروت: 1/ 23، ابن جني، عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط الأولى، 1999م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.: 1/ 40، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق، أحمد حسن، ط الأولى، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت: ص13.

([4]) يُنظر: التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، ط الأولى، 1996م، مكتبة لبنان، بيروت: 10/1، شفاء السائل، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع، ط الأولى، 1997م، دار الفكر المعاصر، بيروت: ص 17.

([5]) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط الثالثة، 1988م، مكتبة الخانجي، القاهرة: 4/ 172.

ISSN : 2410-1818

الزمخشري الذي قال: ((قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ [التوبة: 99]، المغرم: غرامة وخسران))[6]. وإهمالُ المعاجم لكلمة (مصطلح) أمرٌ طبعيٌّ؛ لأنّ المعاجم لا تَتَبَّع الصيغ القياسيّة المطَّردة.

اصطلاحًا: تعني ما وضعه أصحابُ فنٍ ما للتعبير عن مفهوم علميّ مخصوصٍ، أو هي إخراجُ لفظ من معناه اللّغويّ إلى معنى آخر لبيان المراد؛ لعلاقة بين المعنيين[7].

المطلب الثاني: لَمْحَة عن نشأة المصطلح النّحويّ وتطوره

يمثلُ نحوُ أبي الأسود الدؤلي البواكير الأولى في علم النّحو، وقد ابتدأ أبو الأسود الدؤلي النّحو نتيجةً لتسرب اللحن إلى قراءة القرآن والتّكلم باللّغة، فكان هدفُهُ معالجة هذا الخطر، وجعل وسيلته وضع ضوابط عملية تصون من اللحن، فكان أول عمل قام به في ذلك هو تنقيط الإعراب، قال القفطي: ((قال أبو الأسود الدؤلي لزياد الأمير: "ابغني كاتبًا لَقِنًا" - أي سريع الفهم - فأتى به، فقال له أبو الأسود: "إذا رأيتَني قد فتحتُ فمي بالحرف؛ فانقط نقطة أعلاه، وإذا رأيتني قد ضممتُ فمي؛ فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرتُ؛ فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبعتُ شيئًا من ذلك غُنَّةً؛ فاجعل مكان النقطة نقطتين"، فهذا نقط أبي الأسود))[8]. فكانت أول مصطلحات أبي الأسود الدؤلي هي: الفتح، والضم، والكسر، والغُنّة، ولكنّه لم يُصرحْ بلفظ مصطلح، إنما اكتفى بوصفها وصفًا حسيًّا صوتيًّا لغويًّا، وكان ذلك سنة 53 هجرية كما أثبته القلقشندي[9]، ثم جاء تلميذُهُ، نصرُ بنُ عاصم الليثيّ، فسماها مصطلحاتٍ، وهكذا فتح أبو الأسود الدؤلي الباب أمام المصطلح النّحويّ، وبدأه بدايةً أوليّة نصر بن عاصم. فكان النّاس يقرؤون القرآن الكريم مستفيدين من تنقيط أبي الأسود إلا أنه عَسُرَ على كثير منهم التمييز بين الأحرف المتشابهة التي كانت مبهمة جميعها، فاهتدى نصر بن عاصم الليثيّ إلى نقط الإعجام، ولمّا خِيف التباس نقط الإعراب بنقط الإعجام اهتدى الخليل بن أحمد إلى

([6]) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1407هـ، دار الكتاب العربي، بيروت: 3/ 236.

([7]) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ط الأولى، 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت: 14

([8]) القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط الأولى، 1986م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت: 4/ 20.

([9]) يُنظر: القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ط الأولى، 1922م، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة: 3/ 160.

ISSN : 2410-1818

الحركات الإعرابية، فكان ذلك تطويرًا للمصطلح النّحويّ الذي بدأه أبو الأسود الدؤلي، وسمّاه نصر بن عاصم الليثيّ. وقد ذكر الدكتور حسن عون أنه عُثِرَ على مصحف مخطوط في مسجد عمرو بن العاص في مدينة الفُسطاط، ويُعدُّ هذا الأثر أقدم مصحف مخطوط في العالم، ولا يزال بحالته في المكتبة الخديوية بالقاهرة، وقد جمع هذا المصحفُ المخطوطُ العملين اللَّذين قام بهما أبو الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم، فالشكل الذي وضعه أبو الأسود رُسم بمداد أحمر، أما نقط الإعجام فقد رُسمت بمداد أسود وبنفس الطريقة التي عُرِفتْ عن نصر بن عاصم[10].

ويُرجّح القفطيُّ أن تلاميذ أبي الأسود نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وعنبسة الفيل قد وضعوا بعدَهُ مصطلحات الرفع والنصب أو الوضع مستفيدين من مصطلحات الفتح، والضم، والكسر، والغُنّة، وصارت شائعة عندهم[11]. قلتُ: ويؤكد ما ذهب إليه القفطيُّ ما رواه الجاحظُ أنّ الحجاجَ بنَ يوسف سأل يحيى بنَ يعمر الليثي: ((أتسمعني ألحن حرفا ؟ قال: نعم، في آي القرآن، قال الحجاج: فذاك أشنع؛ وما هو؟ قال يحيى: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ [التوبة: 24] فترفعُ أحبّ وهو منصوبٌ))[12].

وينسب الزبيدي مصطلحَ التنوين إلى نصر بن عاصم، فهو يرى أنّ نصرًا هو أولُ من وضع مصطلح التنوين الذي كان قد سماه أبو الأسود الغنة[13]، وهي تسميةٌ ليست اصطلاحيةً ولكنها حسيةٌ وصفية، وأكَّدَ هذا ابنُ الجزري برواياتٍ متصلة[14].

([10]) يُنظر: عون، حسن، اللغة والنحو، ط الأولى، 1952م، مطبعة رويال خلف، الإسكندرية: 236.

(2) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة: 1/ 46

([12]) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط السابعة، 1988م، دار النشر، القاهرة: 1/ 377.

([13]) يُنظر: الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل، 1984م، ط الأولى، دار المعارف، بيروت: 27.

([14]) يُنظر: ابن الجزري، محمد بن محمد علي، غاية النهاية في طبقات القرآء، تحقيق: برجستراسر، ط الأولى، 2006م، دار الكتب العلمية، بيروت: 1/ 511.

ISSN : 2410-1818

ثم جاء عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء فظهرتْ عندهما مصطلحاتٌ نحويّةٌ[15] في أثناء نقاشهما لإعراب القرآن وقراءاته، فأتى عيسى بن عمر بمصطلح النداء، وأتى أبو عمرو بن العلاء بمصطلح الإضمار في تأويلهما لقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: 10]، وكان لجهود عبد الله بن إسحاق وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء وما يدور بينهم من مناقشات ومناظرات؛ دورٌ في إرساء الدعائم وتمهيد السبيل أمام نضوج المصطلح النّحويّ عند مَنْ جاء مِن بعدهم. قلتُ: يدلُ على صحة هذا الاستنتاج ما رواه سيبويه في كتابه من مناقشاتهم ومناظراتهم المُمَهِّدَة للمصطلح النّحويّ، واستنتاجاته منها.

ثم جاء الخليلُ يسنده ذكاؤه الخارق، وتساعده قدرتُه الفائقة، وتعضده ملكتُه المتفردة في الاختراع والاستنباط والتعليل الذي تهيأ له من تلك المناقشات والمناظرات؛ فأنشأ المصطلح النّحويّ نشأته الحقيقية، وإنّي أجد شوقي ضيف قد لامس الحقيقة حينما قال عن الخليل: ((هو المؤسس الحقيقيّ لعلم النّحو العربيّ الذي وضعه سيبويه في كتابه بعد أن تلقاه عنه وتعلمه عليه))[16]. فتناثرت المصطلحاتُ النّحويّة من فم الخليل، فكان كتابُ سيبويه وعاءً لها، فجادت عقليتُهُ بمصطلحات أقسام الكلمة (الاسم والفعل والحرف)، والابتداء والخبر، والفاعل، والمفعول به، والظرف، والحال، والاستثناء، والتوكيد، والبدل، والعطف والنعت، والإضافة[17].

هذا ولم يقتصر دورُ سيبويه في نقل مصطلحات الخليل النّحويّة، إنما أضافَ إليها وزاد عليها، مستفيدا من فِطنَته، ومسخرا ألمعيته، فنقل المصطلح النّحويّ من مرحلة النشأة الحقيقية إلى مرحلة الاستقرار والرسوخ، فتفتَّقَ ذهنُهُ عن مصطلحات نحويّة جديدة، وجاءت مصطلحاتُه على شكلين، الأول: وصف وتمثيل، ومن ذلك قوله: (باب ما يكون فيه الاسم مبنيًّا على الفعل قُدّم أو أُخّر وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم)[18]، وهو بذلك يصف الاشتغال، ومن ذلك قوله: (هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول)[19]، وبهذا يصف الفعل المتعدي واللازم، ومنه قوله: (باب ما لا يعمل من المعروف إلا

([15]) الزبيدي، طبقات النّحويّين واللغويين: 41.

([16]) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ط الأولى، 1960م، دار المعارف، مصر: 131/2.

([17]) يُنظر: سيبويه، الكتاب: 1/ 37، 43/1، 1/ 70، 1/ 134، 2/ 87، 2/ 233، 2/ 249.

([18]) يُنظر: سيبويه، الكتاب:41/1

([19]) يُنظر: سيبويه، الكتاب: 11/ 53

ISSN : 2410-1818

مضمرًا)[20]، وبهذا يتكلم عن أفعال المدح والذم. الشكل الثاني: مصطلحات مستقرة مكونة من لفظ أو لفظين، ومنها: التعجب، والفعل الذي لم تمضه (يقصد به المضارع)، وأسماء الإشارة، والمفعول لأجله، والمفعول المطلق، وتاء التأنيث، والعطف، وحروف الإضافة، (ياء المتكلم وحروف القسم، وياء النسب، وحروف الجر)[21].

ثم جاء البصريون والكوفيون بعد سيبويه فجعلوا كتابه محورًا لدراسة المصطلح النّحويّ، يعملون على اختصار مصطلحاته التي أعمل فيها الوصف، ويحاولون الاستقرار على مصطلح واحد من مصطلحاته التي تعددت في باب واحد، ويدققون فيما استقرَّ عليه من مصطلحات، وفي ذلك كلّه اختلفت بهم الطرقُ، وتعددت الشِعَاب، فمنهم من وَافَقَهُ ومنهم من خَالفَهُ، ونتيجةً للخلاف بين المدرستين البصرية والكوفية، فقد ظهرت مصطلحاتٌ للبصريين، ومصطلحاتٌ أخرى للكوفيين، وفي نهاية المطاف قادَ ذلك إلى مرحلة استقرار المصطلح النّحويّ. ولستُ موافقًا للذين يزعمون أنّ الكوفيين خالفوا البصريين في المصطلحات النّحويّة؛ لأجل أن يجدوا لأنفسهم ساحة في الوسط النّحويّ أمام قَدَمَة البصريين ونفوذهم المسيطر، ولذلك أخذوا بقول (خالف تعرف) لإثبات الذات، وإنّي أرى أنّ مثل هذا التّعليل فيه تَجَنٍّ عليهم، واتِّهَامُهُم بشيءٍ لَمْ يَرْتَكِبُوه، وطَعْنٌ في نِيَّاتهم، وغايةُ ما دفعَهم لتلك المخالفة هو اجتهادُهم الذي ربّما يكونُ صَائِبًا وربّما يكونُ خَاطِئًا، والدليلُ على ما ذهبتُ إليه هو أنّ الكوفيين يخالفون البصريين أحيانًا باستخدام المرَادِفِ اللّغويّ للمصطلح، نحو: استخدامهم لمصطلح التّشديد بدل التّوكيد، وحروف الجحد بدل حروف النفي، وأحيانًا تكونُ المخالفةُ بالنظر للاستخدام الغرضيّ للمصطلح بحيث يقدمون تعليلاً يعتمد على الوظيفة النّحويّة، نحو استخدامهم لمصطلح ضمير الفصل بدل العماد، وأحيانًا تكون المخالفة نظرًا للعامل وتحديده نحو: استخدامهم لمصطلح الخلاف بدل الصرف، وأحيانًا تكون المخالفة بسبب الحذف والتّقدير، ومن ذلك مخالفتهم للبصريين في أنواع الفعل، فقد جعلوا الفعل نوعين: (ماض ومضارع)، والأمرُ عندهم مقتطعٌ من المضارع فهو فعل مضارع دخلت عليه لام الأمر فانجزم، ثم حُذفت حذفًا مستمرًا، وهكذا فإنّ مخالفتهم ليست تنافسًا بين البلدين، وإثباتًا للذات، وإنّي أَبْرَأُ من تعليلٍ يُتهم فيه أمثال الكسائيّ، والفرّاء، وثعلب، وغيرهم.

المبحث الثاني: معنى التّهذيب

لغة: جاء في لسان العرب: التَّهْذيبُ: كالتَّنْقِيةِ. هَذَبَ الشيءَ يَهْذِبُه هَذْبًا، وهَذَّبه: نَقَّاه وأَخْلصه، وقيل: أَصْلَحه. وقال أَبو حنيفة: التَّهْذيبُ في القِدْحِ العَمَلُ الثاني، والتَّشْذيبُ الأَوَّل، وهو مذكور في

([20]) يُنظر: سيبويه، الكتاب: 1/ 300

([21]) يُنظر: سيبويه، الكتاب: 1/ 13 – 14، 1/ 16، 1/ 41، 42، 1/ 221، 3/ 312، 3/ 446.

ISSN : 2410-1818

موضعه. والمُهَذَّبُ من الرجال: المُخَلَّصُ النَّقِيُّ من العُيوب؛ ورجل مُهَذَّبٌ أَي مُطَهَّرُ الأَخْلاقِ. وأَصلُ التهذيبِ: تَنْقِيةُ الحَنْظَل من شَحْمِه، ومُعالجَةُ حَبِّه، حتى تَذْهَبَ مَرَارَتُه ويَطيبَ لآكله؛ ومنه قول أَوْسٍ:

أَلم تَرَيا، إِذ جئْتُما، أَنَّ لَحْمَها به طَعْمُ شَرْيٍ، لم يُهَذَّبْ، وحَنْظَلِ

ويقال: ما في مَوَدَّته هَذَبٌ أَي صَفاءٌ وخُلُوصٌ؛ قال الكميت:

مَعْدِنُك الجَوهَرُ المُهَذَّبُ، ذو الإِبْرِيزِ، بَخٍّ ما فَوْقَ ذا هَذَبُ

وهَذَبَ النَّخْلَةَ: نَقَّى عنها اللِّيفَ[22]. وخلاصة للمعنى اللّغويّ لكلمة تهذيب فإنّها تدور حول معاني الإصلاح والتّنقية والتّسليم من العيوب والإبعاد عن الأخطاء والتّصفية من الزوائد.

وقد تولى الفَوزانُ بيانَ المقصود من تهذيب المصطلح النّحويّ، فقال: ((أجرى ابنُ هشام تهذيبًا للمصطلح النّحويّ بمعنى أَصْلَحَهُ، وحَسَّنَهُ، ولَخَّصَهُ، وحَذَفَ مِنْهُ مَا لاَ لُزُومَ لَهُ))[23]. وبهذا يَضعُ الفوزان تعريفا مَضْبُوطًا لتهذيب المصطلح النّحويّ، وقد أخذه من طريقة ابن هشام التي اخْتَطَّها.

المبحث الثالث: ابنُ هشام والفوزان

يمتازُ ابنُ هشام بأنّه عالِمٌ عَلاَّمَة، وبَحْرٌ فَهّامَة، وحَبْرٌ نِحْرِيرٌ، وقد صارَ للنّحو وعاءً، وغَدَا لمُشْكِلِ مسائله دواءً، فتَفَوّقَ في تأليفه، كما ظهر ذلك جليًّا في كتابه مغني اللّبيب، وبرزَ في تجديد تبويبه، كما بَدَا ذلك مَلِيًّا في كتابه شُذُور الذَّهب، وأبدعَ في عرضه وأجادَ في مناقشته، كما بَانَ ذلك في كتابه التّحصيل والتّفصيل لكتاب التّذييل والتّكميل، وشاع الثناءُ عليه من العلماء، فقال عنه ابنُ حجر العسقلانيّ: ((هو المتفردُ بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البارع، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مسهبا وموجزا))[24]، وقال عنه السيوطيّ: ((أتقنَ ابنُ هشامٍ العربيّة، وتخصص

([22]) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط الثالثة، 1414هـ، دار صادر، بيروت.: مادة (هـ ذ ب): 45/10

([23]) الفوزان، عبد الله بن صالح بن عبد الله، 1431هـ، تعجيل الندى بشرح قطر الندى، ط الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية: ص17

([24]) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد، ط الثانية، 1972م، دائرة المعارف العثمانية، الهند: 3/ 38.

ISSN : 2410-1818

بالنّحو، وكان يملك فيه عبقريةً، حتى فاق أقرانه وشيوخه ومعاصريه))[25]، وهذا يؤكد قدرته على التصدي للتهذيب.

أما الفوزان فهو عبد الله بن صالح بن عبد الله بن فوزان بن علي آل فوزان، وُلِدَ بمدينة بريدة في القصيم في عام 1370هـ، ودرس بالمعهد العلميّ في بريدة، وتتلمذ على يد مجموعة من المشايخ، منهم: الشيخ صالح البليهي والشيخ صالح السكيتي، والشيخ علي الضالع، والشيخ صالح المقبل، والشيخ حمد المحيميد، والشيخ فهد المشيقح رحمهم الله تعالى، ثم درس في كلية الشريعة في الرياض، وعُين معيدًا في الكلية، ثم انتقل للتدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم[26]، وهو نحويّ مقتدر، له كتب مفيدةٌ في النّحو، منها دليل السالك في ألفية ابن مالك، وتعجيل الندى بشرح قطر الندى، والإعراب عن نظم قواعد الإعراب.

المبحث الرابع: مناقشات الفوزان لتهذيب المصطلح النّحويّ عند ابن هشام

المطلب الأول: مناقشاتُه إجمالاً

بعد نظرٍ في مناقشات الفوزان لتهذيب المصطلحات النّحويّة عند ابن هشام في شرحه لكتاب القطر لاحظتُ أنّه يتناولُها إجمالاً تارة وتفصيلاً تارة أخرى، فمن تناوله الإجماليّ للمصطلحات النّحويّة عند ابن هشام ما يلي:

أولاً: أَبْرَزَ الفوزان أكثريّةَ المصطلحات البصريّة عند ابن هشام، فقال: ((أكثرُ المصطلحات عند ابن هشام بصريّةٌ، وقلّما يستخدمُ مصطلحاتٍ كوفيّة))[27]، ومن المصطلحات الكوفيّة القليلة التي دَرَجَ ابنُ هشام على استخدامها مصطلح الخفض، والنعت، وعطف النسق، والواو الزائدة، وضمير العِماد، ونون العِماد، وقمتُ بحصر مصطلحات ابن هشام في القَطْر فوجدتها اثنين وخمسين مصطلحًا، وصَنّفْتُ البصريّة منها والكوفيّة والتي ليست بصريّة ولا كوفيّة والتي تفرد بها؛ فوجدتُ المصطلحات الكوفيّة تمثُّل نسبة 11 % من جملة مصطلحاته. ولم يكتفِ الفوزان بإبرازِ أكثريّة المصطلحات البصريّة عند ابن هشام، إنما زاد على ذلك بالتّعليل لهذه الأكثريّة، فقال: ((واستخدمَ المصطلحات البصريّة بكثرة؛

([25]) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط الأولى، 1964م، عيسى البابي الحلبي، بيروت: 68/2.

([26]) موقع عبد الله بن صالح الفوزان على الشبكة العالمية: http://al-fuzan.net/about

([27]) الفوزان، تعجيل الندى: ص 211

ISSN : 2410-1818

لوضوحها وإحكامها وانتشارها، ولأنّها توافق مسلكه التعليميّ في مؤلفاته))[28]. فابنُ هشام لا ينشد في المصطلح كونه بصريًّا أو كوفيًّا، إنما ينشدُ فيه الوضوح والإحكام والانتشار.

ثانيًا: وَصَفَ الفَوْزَان المصطلحات النّحويّة عند ابن هشام بأنّها منسجمةٌ مع مذهبه البغداديّ في النّحو[29]، ويقصد الفوزانُ بالمذهبِ البغداديِّ المدرسةَ البغداديّةَ القائمةَ على تحليل آراء النّحويّين المنتمين للمدرستين البصريّة والكوفيّة ومقارنتها وموازنتها ثم تصويبها والتّرجيح منها، ويُعدُّ ابن هشام أحد أئمتها. قلتُ: ما قرَّرَهُ الفوزان هنا يتجلى في المصطلحات التي تفرَّد بها ابن هشام، أو لم تكن بصريّةً ولا كوفيّة، وقد بلغتْ نسبتها في كتابه قَطْر النّدى 25 % من جملة المصطلحات التي تبلغُ اثنين وخمسين مصطلحًا، وسيأتي تناولها فيما بعد.

ثالثًا: إمتَدَحَ الفوزانُ قلةَ الألفاظ في مصطلحاتِ ابن هشام النّحويّة[30]، فالمصطلحُ النّحويّ عنده مكونٌ من لفظ أو لفظين غالبًا، فكأنّه بذلك يشترطُ في المصطلحات قلةَ الألفاظ.

رابعًا: أظهرَ الفوزانُ ما اعْتادَ ابنُ هشام فعلَهُ عند تعريف المصطلحات النّحويّة فقال: ((يبدأُ ابنُ هشام بالتّعريف الاصطلاحيّ، ثم ينتقلُ للتّعريف اللّغويّ، برغم أنّ الأصلَ في الكلمة الدّلالةُ اللّغويّةُ، ثم تُنقلُ إلى الدّلالة الاصطلاحيّة))[31]، ولم يتركِ الفوزانُ الباحثَ يفتّشُ عن سبب هذا القلب، إنما أَرْدَفَهُ بالسبب فقال: ((والسببُ في بدايته بالدّلالة الاصطلاحيّة قبل اللّغويّة هو محاولتُهُ إزالة الغموض بين الدّلالتين))[32].

خامسًا: أوضحَ الفوزانُ مراعاةَ ابنِ هشام التّدرجَ في مستوى المُتَعَلِّم، فهو يُعرّف المصطلح بألفاظ سهلة مختصرة في كتب المبتدئين، ثم يعرّفها بألفاظ مسهبّة وبعبارات أرقى في كتب المتقدمين، فقال الفوزان: ((السبب وراء اختلاف تعريفات ابن هشام للمصطلحات من كتابٍ لآخر، زيادةً ونقصًا، وماهيةً ودلالةً؛

([28]) الفوزان، تعجيل الندى: ص 217

([29]) يُنظر: الفوزان، تعجيل الندى: ص 128

([30]) يُنظر: الفوزان، تعجيل الندى: 234

([31]) الفوزان، تعجيل الندى: 235

([32]) الفوزان، تعجيل الندى: 237

ISSN : 2410-1818

يعودُ إلى منهج ابن هشام التّعليميّ، ومراعاة المستوى التّعليميّ))[33]. وقد صرّح ابن هشام بهذا فقال: ((وَهَا أَنا بائحٌ بِمَا أسررتُهُ، مُفِيدٌ لما قَرّرته وحرّرته، مقرّب فَوَائده للأفهام، وَاضع فرائده على طَرَف النُّمام؛ لينالها الطلاب بِأَدْنَى إِلْمَام))[34]، فهو يتدرج في التّعريف من السهل إلى الصعب، ومن الجزء إلى الكل، فنجده مثلاً عرّف المبتدأ في قطر النّدى بأنّه: ((الاسم المجرّد عن العوامل اللفظية للإسناد))[35]، فلما ارتقى الكتابُ ارتقى التعريفُ، فجاء تعريفُه له في شذور الذهب هكذا: ((الاسم المجرّد عن العوامل اللفظية، مخبرا عنه، أو وصفا رافعا لمكتفى به))[36]. وفي أوضح المسالك زادَ في التّعريف فقال: ((المبتدأ اسم أو بمنزلته، مجرّد عن العوامل اللفظية أو بمنزلته، مُخْبَرٌ عنه، أو وصف رافع لمكْتَفىً به))[37]. قلتُ: لعمري هذا درسٌ في المناهج وطرائق التّدريس، فتّعْلِيْمُ النّحو لا يرتقي بمجرد الموضوعات التي تُقرّرُ، ولا بمجرد المراجع والمصادر التي تُفرَضُ، كلا، فلا بدّ من مراعاة مستوى المُتَعَلِّمين والتّدرج في تعليمهم، وهذا أمرٌ تَغْفَلُهُ كثيرٌ من خطط الجامعات في مقررات النّحو، برغم قِدْمِه وتأصّلِهِ في مناهج تأليف النّحويّين القديمة.

سادسًا: لَفَتَ الفوزان الأنظار إلى أنّ ابن هشام استعمل المنطِق في معالجة شيءٍ من المصطلحات النّحويّة، فقال: ((أَعمَلَ ابنُ هشام المنطِق في تحديد المصطلحات النّحويّة؛ ولا غرو في ذلك فقد انتشر علم المنطِق في عصر ابن هشام وشاعت مؤلفاتُهُ))[38]. وعلمُ المنطِق مذمومٌ عند السلف، كما فصّل القول في ذلك شيخُ الإسلام ابن تيمية في كتابه (نقض المنطِق)[39]، إلا أنّ ذمهم له لا يأتي عليه كلّه، فقد ذكر

([33]) الفوزان، تعجيل الندى: 312

([34]) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: بركات شعبان، ط الأولى، 1999م، دار الأرقم، بيروت: 13.

([35]) ابن هشام، عبد الله بن يوسف ، قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: علي بن سالم، ط الأولى، 2000م، دار الوطن، القاهرة: 23.

([36]) ابن هشام، شرح شذور الذهب: 179

([37]) ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين، ط الأولى، 2001م، دار الطلائع، القاهرة: 165/1

([38]) الفوزان، تعجيل الندي: 9

([39]) يُنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، نقض المنطق، تحقيق: عبد الرحمن بن حسان قائد، ط الأولى2001م، مجمع الفقه الإسلامي، جدة: 23

ISSN : 2410-1818

السبكيّ في فتاويه أنّ المنطِق كالحساب، بمعنى أنّه آلةٌ وطريقةٌ تُستخدم لضبط العقل عن الخطأ والزلل في التّعاريف والأدلّة، لكنّه إذا دخل في الإلهيَّات والغيبيات أوقع في الكفر والزَّنْدَقَةُ[40]. وقد أفاد ابن هشام من علم المنطِق في تحديد مدلولات المصطلحات النّحويّة وضَبْطِها والتفريع عنها، ومن ذلك قوله: ((والكلمة جنسٌ تحته ثلاثةُ أنواع، هي: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ))[41]. فأسلوب الحصر الذي سار عليه ابنُ هشام في معالجة أقسام الكلمة من دَأْبِ المناطقة، ويسمى عندهم بالسَبْر والتّقسيم، ومصطلحا الجنس والنوع من مصطلحاتهم أيضًا، وهذا الإعمالُ لعِلم المنطِق لا يدخل في الذَمّ الذي نُصَّ عليه.

المطلب الثاني: مناقشاتُه تفصيلاً

أما تناولُ الفوزان التفصيليّ لتهذيب المصطلح النّحويّ عند ابن هشام خلال شرحه للقطر فأمكنني تقسيمه إلى أربع صور، وفيما يلي كلُّ صورةٍ وأمثلتها:

الصورة الأولى: تهذيب المصطلح النّحويّ تأدبًا مع الله تعالى

أظهرَ الفوزانُ تهذيبَ ابنِ هشام للمصطلح النّحويّ تأدبًا مع اللّه تعالى، وتعظيمًا لاسمه، ومن ذلك أنه يُسمي (مَن) اسم موصول للعَالِم بدل العاقل إذا كان عائدًا للّه تعالى؛ تنزيهًا للّه تعالى عن هذا الوصف، الذي لم يثبت له عز وجل في القرآن أو السُّنّة، وقد قال الفوزان معلقًا على ذلك: ((اختار ابنُ هشام أن يُقال: (مَن) للعَالِم بدل العاقل؛ لأنّ اللّه تعالى قد وصف نفسه بالعلم، وهي قد تُستعمل في الدّلالة عليه سبحانه))[42]. وهذا من توحيد الأسماء والصفات الذي يعني في جوهره وصف اللّه تعالى بالكمال المطلق، وتنزيهه عمّا لا يليق به من الألفاظ والأوصاف؛ ويكون ذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى اللّه عليه وسلم، والوقوف عند ذلك وعدم تجاوزه؛ التزامًا بقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الأسراء: 36].

ومن ذلك لما ذكر ابنُ هشام أنّ الفعل إذا حُذِف الفاعل يُحولّ من مبني للمعلوم إلى مبني لما لم يُسَمَّ فاعله[43]، قال الفوزان معلقًا على ذلك: ((تعبير: (مبني لما لم يُسَمَّ فاعله) أدقّ من (مبني للمجهول)؛ لأنّ الفاعل قد يكون معلومًا فيُحذَف، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، فهذا الفعل لم

([40]) السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي، ط الأولى، 1977م، دار المعرفة بيروت: 113/2

([41]) ابن هشام، متن قطر الندى: 6

([42]) الفوزان، تعجيل الندى: 91

([43]) ابن هشام، متن قطر الندى: 15

ISSN : 2410-1818

يُسم فاعله ولا يُقال: إنّه مجهول؛ لأنه وصفٌ لا يليق باللّه تعالى، ولا يُقَدِّرُهُ حقَّ قَدْرِهِ))[44]، وهذا فيه تأدبٌ مع اللّه تعالى ونفي الجهالة عنه، فـ اللّه جلّ جلاله أعرف المعارف، وحُقَّ لمن يمرّ على هذا التهذيب أنّ يقول: إنّ ابنَ هشامٍ يدخلُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30].

ومن ذلك إعرابُهُ لفظَ الجلالةِ أنّه مفعولُ تعظيمٍ إذا وقعَ مفعولاً به[45]. وللّهِ درُّ ابن هشام! يا له من نحويّ يُعلّمُ الناسَ الأدبَ في العبارة مع اللّه سبحانه وتعالى.

ومن ذلك أيضًا وصفُهُ فعل الأمر الموجه للّه تعالى بأنّه فعلُ دعاءٍ بدلاً من فعل أمر، وتسميتُهُ لام الأمر تبعًا لذلك لام الدعاء حينما تدخل على فعلٍ موجه للّه تعالى بدلاً من لام الأمر، وكذا تسميتُهُ لا الناهية بدل لا الدعاء حينما تدخل على فعلٍ موجه للّه تعالى. وقد أخذ الآثاري ذلك كلّه من ابن هشام فقال في ألفيته:

خاتمةُ الفصول: إعرابُ الأدبْ	مع الإلهِ، وهـــــو بعضُ مـا وجبْ
فالربّ مسؤول بأفعال الطلبْ	كـ (اغفرْ لنا)، والعبدُ بالأمر انتدب
وفي: (سألتُ اللّه) في التعليمِ	تقولُ: منصوبٌ على التعظيمِ[46]

وبعدُ، فالفوزان يُبرز تهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ في باب عظيم، وهو باب التّأدب مع اللّه تعالى، وتنزيهه عز وجل عن كلّ لفظٍ ينتقص مقامَه وعظمته وجلاله.

الصورة الثانية: تهذيب المصطلح النّحويّ تنزيهاً للقرآن الكريم

أوضحَ الفوزانُ تهذيبَ ابنِ هشام للمصطلح النّحويّ تنزيهًا للقرآن الكريم عن العبارات التي لا تليقُ به، ومن ذلك، تَجَنُّبُهُ استخدام مصطلح الزيادة في القرآن الكريم، فقال: ((وينبغي أن يجتنب المُعْرِبُ أن يقول في حرفٍ في كتاب اللّه تعالى: إنه زائدٌ؛ لأنّه يسبق إلى الأذهان أنَّ الزائدَ هو الذي لا معنى له،

([44]) الفوزان، تعجيل الندى: 91

([45]) ابن هشام، متن قطر الندى: 24

([46]) الآثاري، شعبان بن محمد القرشي، كفاية الغلام في إعراب الكلام، تحقيق: زهير زاهر، ط الأولى، 1407هـ، مكتبة النهضة العربية، بيروت: 119

ISSN : 2410-1818

وكلامُه سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك))[47]، وصرّحَ الفَوْزانُ حيال ما قاله ابن هشام ووصفه بأنه حسنٌ، وزاد عليه بقوله: ((فالأولى أن نقول: إنّ هذا الحرف للتّوكيد، ونجتنب لفظ زائد؛ لئلا يتبادر إلى ذهن السامع أنّه لا معنى له))[48]. وربما يقول قائلٌ ردًّا على هذا: إنّ هذا اصطلاحٌ، ولا مُشَاحَّة في الاصطلاح، بمعنى أنّ الخلاف إذا كان واقعًا في الأمور الاصطلاحيّة فإنّه لا ينبني عليه حكمٌ، ولا اعتبارَ به. فأقول: عبارة (لا مُشَاحَّة في الاصطلاح) ليست على إطلاقها، إنما هي مقيدةٌ بعدم مخالفة المصطلح لنصٍّ في الكتاب أو السّنّة، ومقيدةٌ أيضًا بعدم تجاوزٍ في الفن المعين، والتّعويلُ على إدراك النّاس للمقصود من مصطلح الزيادة في القرآن أمرٌ غيرُ محمود العواقب؛ لأنّنا لا نضمن أن كلّ من قرأ هذا المصطلح أو سمعه يُدرك حقيقته التي وُضِع لأجلها، وقد أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، قال عليٌّ – رضي الله عنه - ((حَدِّثُوا النّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذّبَ اللّهُ وَرَسُولُهُ))[49]، وقال ابن مسعود – رضي الله عنه - ((مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ؛ إلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً))[50].

ومن ذلك ابتعادُهُ عن استخدام مصطلح العطف على التّوهم في القرآن الكريم، فقد تكلم ابن هشام عن العطف على اللفظ، والعطف على الموضع أو المحلّ، والعطف على التَّوهم، وذكر أن المصطلح الأخير الذي هو (العطف على التَّوهم) يُستعمل في غير القرآن، أما في القرآن فيُقال له العطف على المعنى[51]، وقد أُعجب الفَوْزانُ بهذا المسلك من ابن هشام واحتفى به فقال: ((لأنّ هذا النوع من العطف فيه تخيل وتوهم فقد أطلق عليه النّحاةُ: العطف على التّوهم، لكنّ المصنفَ – ابن هشام - نبه إلى أنّه يُطلقُ عليه في القرآن: العطف على المعنى؛ تأدبًا وصونًا لكتاب الله تعالى من التّوهم والتّخيل، فإنّ القرآنَ الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه))[52]، وهكذا فإنّ القرآن الكريم لا يصح

([47]) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح قطر الندى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط الحادية عشرة 1383هـ، دار الكتب العلمية، القاهرة : 89

([48]) الفوزان، تعجيل الندى: 217

([49]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط الأولى، 1423هـ، دار ابن كثير، بيروت كتاب العلم: 127

([50]) مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد، ط الأولى، 1986م، دار إحياء التراث العربي، بيروت: المقدمة: 5

([51]) ينظر: ابن هشام، شرح قطر الندى: 129

([52]) الفوزان، تعجيل الندى: 201

ISSN : 2410-1818

إعرابه بالألفاظ القاصرة والعبارات التي لا تليق به، بل يجب حمله على أحسن إعراب، وأجمل تعبير، وأجود تأويل، وإنّي أرفضُ ما يرددُهُ بعضُ أصحاب المنتديات من أنّ مثل هذه العبارات مجرد مصطلحات تقع على الألفاظ لا على الحقائق والمعاني، فأقولُ: التّأدب مع القرآن يكون بالحقائق والمعاني، ويكون بالعبارات والألفاظ، قال ابن الْمُسَيَّبِ: ((لا تقولوا مُصيحف، فما كان للّه فهو عظيمٌ حسنٌ جميلٌ))[53].

الصورة الثالثة: تهذيب المصطلح النّحويّ طلبًا للاختصار

بيّنَ الفوزان أنّ ابن هشام يعمد إلى الإيجاز في المصطلحات، ومن ذلك تسميتُهُ باب المفعول الذي لم يُسم فاعله (نائب الفاعل)[54]، وهو ثاني من استخدم هذا المصطلح بعد ابن مالك[55]، وكان سيبويه قد أطلق عليه (المفعول الذي لم يتعدَّ إليه فعل فاعل)[56]، وعلّق الفَوْزان على تسمية ابن هشام بقوله: ((سمى المصنف الباب: باب نائب الفاعل، ويسميه كثير من القدماء: المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، وما ذكره المصنف أحسن؛ لأنّ نائب الفاعل قد يكون غير المفعول))[57]. قلتُ: وهنا يُظهرُ الفَوْزَانُ جودةَ مصطلح ابن هشام من ناحيتين: من ناحية اختصاره، ومن ناحية شموله.

ويدخلُ في ذلك استعمالُهُ لمصطلح النواسخ، فابنُ هشامٍ هو أوّلُ مَن استعمل هذا المصطلح[58]، ويَقصدُ به (كان وأخواتها وظنّ وأخواتها وإنّ وأخواتها)، في حين أطلق عليها النّحويّون (بابَ الأفعال التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وباب الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر، وباب الحروف التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر)، ووَصَفَ الفَوْزَانُ مصطلحَ ابن هشام بأنّه دالٌ على المراد بأقصر عبارة[59]. ولا تقتصرُ جودةُ مصطلحِ النواسخ – الذي تفرّد به ابن هشام - على الاختصار فحسب، بل هو مصطلحٌ له

([53]) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط الثالثة، 1995م، مؤسسة الرسالة، بيروت: 4/ 338.

([54]) ينظر: ابن هشام، متن قطر الندى: 14

([55]) ابن مالك، محمد بن عبد الله، متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ط الأولى ، 2009م، مطبعة دار الفجر، القاهرة: 19

([56]) سيبويه، الكتاب: 51/1

([57]) الفوزان، تعجيل الندي: 178

([58]) الفوزان، تعجيل الندي: 128

([59]) ينظر: الفوزان، تعجيل الندى: 130

ISSN : 2410-1818

إيحاءاتٌ دلاليّةٌ رفيعةٌ، فهو يُوحي بخصوصية كان وأخواتها وظنّ وأخواتها وإنّ وأخواتها بالدخول على المبتدأ والخبر، ويُوحي بأنّ هذه الكلمات تزيل حكم المبتدأ والخبر وتُحدث لهما حكمًا جديدًا.

وهذا الاختصارُ المدْهِشُ من ابن هشام لبعض المصطلحات النّحويّة التي وَجَدَ فيها طولاً يكشف تَمَكّنَه في النّحو ورسوخه فيه وتجديده له، ويكشف كذلك عن منهجه التعليميّ، وأنه يسلكُ أقصرَ الطرائق لإيصال المراد لطَالبه.

الصورة الرابعة: تهذيب المصطلح النّحويّ نَشْدًا للدقة

أشار الفَوْزَانُ إلى أنّ ابن هشام يُجري أحياناً تهذيبًا للمصطلح، وهو ينشدُ في ذلك الدقّةَ، ومن ذلك قوله: ((باب ما جُمع بألف وتاء))[60]، بدلاً من مصطلح: جمع المؤنث السالم، وربّما يتساءل المرءُ عن سبب إعراض ابن هشام عن مصطلح: جمع المؤنث السالم، واختياره مصطلح: باب ما جُمع بألف وتاء، فتأتي الإجابةُ من الفَوْزَان بقوله: ((تسميةُ ابن هشام أجود؛ لأنّ بعض المفردات التي جُمعت هذا الجمع ليست مؤنثةً، مثل: اصطبل واصطبلات، وحمام وحمامات، كما أن بعض المفردات تغيرت فلم تسلم عند الجمع، مثل: سجدة وسجدات، وحبلى وحبليات، وصحراء وصحراوات، لكن مادام أنّه اصطلاح على هذه التسمية فلا مانع من إطلاقها، ويكون قولنا: المؤنث السالم، ليس قيدًا))[61]. فيا له من تعليلٍ دقيقٍ، وتَهْوِينٍ رشيقٍ ! جمعَ فيه بين التّعليلِ لما ذهبَ إليه ابنُ هشامٍ من اختيار، وبين التَّهْوِين على مَن خالفه واختارَ المصطلح الآخر.

ومن ذلك أيضاً اختيارُهُ لمصطلح (أل) بدلاً من مصطلح (الألف واللام)[62]، وقد وقف الفَوْزَانُ عند هذا الاختيار ووصفه بأنّه أولى من قول بعضهم (الألف واللام)؛ لأنّه لا يُقال في (هل) الهاء واللام، ولا يُقال في (بل) الباء واللام[63]. وبهذا يوضح الفَوْزَانُ أنّ اختيار ابن هشام لمصطلحاته قائمٌ على دقةٍ ومستندٌ على منطقيةٍ.

ومن ذلك ضبطه لمصطلح التّنازع، فالشلوبين هو أول من استعمل مصطلح التنازع، ثم ابن الحاجب، ثم ابن عصفور، ثم ابن مالك، إلّا أن المصطلح لم يجد دقّة في تعريفه إلّا من ابن هشام الذي عرّفه بقوله: ((التنازع أن يتقدّم عاملان أو أكثر، ويتأخّر معمول أو أكثر، ويكون كلّ من المتقدّم طالباً لذلك

([60]) الفوزان، تعجيل الندى: 51

([61]) يُنظر: الفوزان، هامش تعجيل الندى: 52

([62]) يُنظر: ابن هشام، متن قطر الندى: 4

([63]) يُنظر: الفوزان، تعجيل الندى: ص 110

ISSN : 2410-1818

المتأخّر))[64]، علّق الفوزان على ذلك بقوله: ((يُحمد لابن هشام جودته في تعريف مصطلح التنازع))[65]، وحينما قارنتُ تعريف ابن هشام بمن سبقوه وجدتُ أنّ الشلوبين وابن الحاجب في تعريفهما للتنازع قصراه على فعلين، فأغفلا العاملين غير الفعلين، وابن مالك قيّد المعمول بكونه واحداً، مع أنّه قد يكون أكثر من واحد، وابن عصفور لم يقيّد العامل فأكثر بالتقدّم، ولم يقيّد المعمول فأكثر بالتأخّر[66]، وابن هشام تلافى ذلك كلّه.

([64]) ابن هشام، متن قطر الندى: 10

([65]) الفوزان، تعجيل الندى:

([66]) الشلوبين، عمر بن محمد بن عمر، التوطئة، تحقيق: يوسف أحمد المطوع، ط الأولى، 1980م، دار الكتب، القاهرة: 252، الرضي، شرح الرضي على الكافية: 201/1، ابن عصفور، المقرب: 329، ابن مالك، تسهيل الفوائد: 86

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

قَصَدَ البحثُ إبرازَ تناول الفوزان لتهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ في شرحه لكتاب قطر النّدى وبلّ الصّدى، وذلك لإدراك الباحث أنّ هذا الإبراز يُظهر الثراء المعرفيّ لتهذيب المصطلح النّحويّ عند ابن هشام، ويربطه بتنزيه الله تعالى عن كلّ عيب، وبتعظيم القرآن الكريم، ويربطه بالمدارس النّحويّة، وبعلم الدلالة وعلم المنطق، ويربطه بالمناهج وطرائق التّدريس، ويربطه أيضاً بالاختصار والدقة والإحكام. وقد تمّ التوصل إلى نتائج أهمها ما يلي:

(1) بلغ عددُ المصطلحات النّحويّة في متن قطر الندى اثنين وخمسين مصطلحاً.

(2) بلغت نسبة المصطلحات البصرية عند ابن هشام في كتابه القطر 64% .

(3) بلغت نسبة المصطلحات الكوفية عند ابن هشام في كتابه القطر 11 %.

(4) بلغت نسبة المصطلحات التي ليست بصريّة ولا كوفيّة، والتي تفرد بها ابن هشام في كتابه القطر 25نسبة ٪.

(5) اعتاد ابن هشام البداية بالدّلالة الاصطلاحيّة قبل الدّلالة اللّغويّة في تعريف المصطلحات؛ وذلك طلباً لإزالة الغموض بين الدّلالتين.

(6) اعتاد ابن هشام مراعاة التّدرج في مستوى المُتَعَلِّم، فهو يُعرّف المصطلح بألفاظ سهلة مختصرة في كتب المبتدئين، ثم يعرّفها بألفاظ مسهبّة وبعبارات أرقى في كتب المتقدمين.

(7) أفاد ابن هشام من علم المنطِق في تحديد مدلولات المصطلحات وضَبْطِها والتفريع عنها.

(8) جاء تناول الفوزان التفصيلي لتهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ في أربع صور، هي:

- تهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ تأدبًا مع الله تعالى، وهذه الصورة شملت ستة مصطلحات هي: اسم الموصول (مَن) للعالِم، والفعل المبني لما لم يُسَمَّ فاعله، ومفعول تعظيم، وفعل الدعاء، ولام الدعاء.
- تهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ تعظيماً للقرآن الكريم، وهذه الصورة شملت مصطلحين، هما: مصطلح التّوكيد بدل الزيادة، ومصطلح العطف على المعنى بدل مصطلح العطف على التوهم.
- تهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ طلبًا للاختصار، وتجلّت هذه الصورة في مصطلحين هما: نائب الفاعل، والنواسخ.

ISSN : 2410-1818

- تهذيب ابن هشام للمصطلح النّحويّ نَشْداً للدقة، وبَدَتْ هذه الصورة في مصطلحين، هما: مصطلح ما جُمع بألف وتاء، واختياره مصطلح أل.

توصية:

في نهاية هذا البحث عَنَّتْ لي توصية، وهي إقامة دراسة تتناول جهود ابن هشام في تبويب مسائل النّحو، في كتابه شذور الذهب، وأثر ذلك فيمن جاء بعده من النّحويين.

* * * * * *

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع:

1- الآثاري، شعبان بن محمد القرشي، تحقيق: زهير زاهر، **كفاية الغلام في إعراب الكلام**، ط الأولى، 1407هـ، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ط الأولى، 1423هـ، دار ابن كثير، بيروت.

3- التهانوي، محمد علي، تحقيق: علي دحروج، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ط الأولى، 1996م، مكتبة لبنان، بيروت.

4- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **نقض المنطق**، تحقيق: عبد الرحمن بن حسان قائد، ط الأولى2001م، مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

5- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، تحقيق: عبد السلام هارون، **البيان والتبيين**، ط السابعة، 1988م، دار النشر، القاهرة.

6- الجرجاني، علي بن محمد السيد، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، **معجم التعريفات**، ط الأولى، 1997م، دار الفضيلة، القاهرة.

7- ابن الجزري، محمد بن محمد علي، تحقيق: برجستراسر، **غاية النهاية في طبقات القرآء**، ط الأولى، 2006م، دار الكتب العلمية، بيروت.

8- ابن جني، عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: محمد علي النجار، **الخصائص**، ط الأولى، 1999م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

9- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط الثانية، 1972م، دائرة المعارف العثمانية، الهند.

10-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: محمد مطيع، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، ط الأولى، 1997م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

11-الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، **مفاتيح العلوم**، ط الثانية، 2001م، دار الكتاب العربي، بيروت.

12-الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، **سير أعلام النبلاء**، ط الثالثة، 1995م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

13-الزبيدي، محمد بن الحسن، تحقيق: محمد أبو الفضل، **طبقات النحويين واللغويين**، ط الأولى، 1984م، دار المعارف، بيروت.

ISSN : 2410-1818

14-الزبيدي، محمد بن الحسن، تحقيق: محمود الجيزي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط الأولى، 1414هـ، دار الفكر، بيروت.

15-الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط (1)، 1407هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

16-السبكي، علي بن عبد الكافي، **فتاوى السبكي**، ط الأولى، 1977م، دار المعرفة بيروت.

17-سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، **الكتاب**، ط الثالثة، 1988م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

18-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط الأولى، 1964م، عيسى البابي الحلبي، بيروت.

19-الشلوبين، عمر بن محمد بن عمر، **التوطئة**، تحقيق: يوسف أحمد المطوع، ط الأولى، 1980م، دار الكتب، القاهرة

20-ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، ط الأولى، 1960م، دار المعارف، مصر.

21-عون، حسن، **اللغة والنحو**، ط الأولى، 1952م، مطبعة رويال خلف، الإسكندرية.

22-ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق، أحمد حسن، **الصاحبي في فقه اللغة العربية**، ط الأولى، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.

23-الفوزان، عبد الله بن صالح بن عبد الله، **تعجيل الندى بشرح قطر الندى**، ط الأولى، 1431هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.

24-القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، ط الأولى، 1922م، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

25-القفطي، علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ط الأولى، 1986م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

26-الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ط الأولى، 1992م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

27-ابن مالك، محمد بن عبد الله، **متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف**، ط الأولى، 2009م، مطبعة دار الفجر، القاهرة.

ISSN : 2410-1818

28-مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد، **المسند الصحيح المختصر**، ط الأولى، 1986م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

29-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط الثالثة، 1414هـ، دار صادر، بيروت.

30-ابن هشام، عبد اللّه بن يوسف بن أحمد، تحقيق: محمد محي الدين، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ط الأولى، 2001م، دار الطلائع، القاهرة.

31-بن هشام، عبد اللّه بن يوسف، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط الحادية عشرة 1383هـ، دار الكتب العلمية، القاهرة.

32-ابن هشام، عبد اللّه بن يوسف بن أحمد، تحقيق: علي بن سالم، **متن قطر الندى وبل الصدى**، ط الأولى، 2000م، دار الوطن، القاهرة.

33-ابن هشام، عبد اللّه بن يوسف بن أحمد، تحقيق: بركات شعبان، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط الأولى، 1999م، دار الأرقم، بيروت.

الشبكة العنكبوتية (الإنترنت):

موقع عبد اللّه بن صالح الفوزان على الشبكة العالمية: http://al-fuzan.net/about